بنية الزمن الحسي
في القصة الجزائرية القصيرة عند المرأة

د. باديس فوغالي
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

إن الزمن الذي نقصده في هذه الدراسة ليس الزمن الفيزيائي البحـــث،أو الفلســـفى المجرد،إنما نعني به الزمن الذي يتمثل في (البنية الشعرية للزمن التي تأخـــذ فـــي أبعـــاد دراستها وتحليلها للنصوص اعتبارات داخلية للعناصر المترابطة ،التي تشـــكل منهـــا أي خطاب)"[1]"،أي الزمن المرتبط بالكتابة والخطاب فحسب،ولذلك سوف أعرض جملـــة مـــن الآراء لنقاد غربيين وعرب اهتموا بدراسة الزمن في النص السردي،ثم التطبيق بعد ذلـــك لبعض تلك المقترحات على نماذج من القصة الجزائرية القصيرة عند المرأة.

فمن النقاد الغربيين، نلفي الناقد الفرنسي "جون ريكاردو"، يميز بـــين مســـتويين مـــن الزمن : المستوى الأول هو زمن السرد،وأما المستوى الثاني فهو زمن القص،ويحدد هذين المستويين من خلال محورين متوازيين كما هو واضح في الشكل اللاحـــق،فيســـجل فـــي المحور الثاني زمن القص ،حيث تنشأ بين المحورين علاقات الديمومـــة القائمـــة حســـب طبيعة الحكي بين المستويين الزمنيين،وضمن سرعة السرد تنـــتج الخصـــائص الســـردية الآتية: ــ مع الحوار يحدث التطابق.

ــ مع الأسلوب غير المباشر الذي يلخص الأحداث تزداد سرعة السرد.

ــ مع التحليل النفسي ،والوصف يتباطأ القول ،أوالحكي،أو يضمر الســـرد،كمـــا ينعـــت المخطط التوضيحي للشكل الآتي:

"1" ــ عبد الجليل مرتاض / البنية الزمنية في القص الروائي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،ص 79.

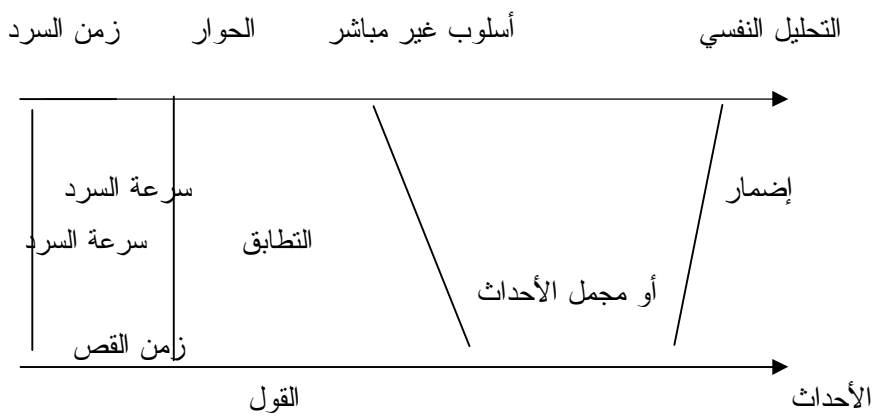

* أما ميشال بيتور، وهو أحد الروائيين الجدد الذين أتيحت لهم الممارسة النقدية في ضوء تجاربهم الإبداعية،فيقسم زمن الرواية إلى (ثلاثـة أزمنـة علـى الأقـل هـي : زمـن المغامرة،زمن الكتابة، وزمن القراءة،وكثيرا ما ينعكس زمن الكتابة على زمـن المغـامرة بواسطة الكاتب..وهكذا يقدم لنا الكاتب خلاصة نقرؤها في دقيقتين ،هي خلاصة لقصة قـد يكون شخص ما قد أمضى يوما للقيام بها،أو خلاصة لحوادث تمتد على مدى سنين) "[2] .

ثم يستأنف وجهة نظره حول الزمن الروائي مؤكدا الشعور بالأهمية التي قـد تنـتج فـي المقاطع الروائية،حيث يحدث التلاقي بين مدة القراءة،والمـدة التـي يسـتغرقها الحـادث المقروء،وغالبا ما يتجلى هذا في الحوار ،كما رأينا مـع جـان ريكاركـدو فـي الشـكل السابق،وانطلاقا من هذا التلاقي يمكن إبراز تسارع السرد وتباطؤ الحركة "[3].

وفي موضع آخر يؤكد بيتور وجود نوعين من الزمن ،زمـن يمضـي بنـا خطيـا إلـى الأمام،ويتمثل في الحاضر والمستقبل،وزمن يعود بنا إلى الوراء ،وهو زمن الـذاكرة،كمـا يصرح أن بين هذين النوعين مستويات أربع للزمن.

ـــ مستوى زمن استعادة الذكريات بطريقة خطية " التسلسل الزمني"

ـــ مستوى زمن استرجاع الذكريات بطريقة عكسية.

ـــ مستوى زمن الأحداث الآتية في إطارها الزمي الخطي.

ـــ مستوى إعادة الذكريات بطريقة منتظمة "[4].

"[2] ـــ ميشال بيتور/ بحوث في الرواية الجديدة،ت،فريد انطونيوس ،مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويات ،بيروت ،لبنان ص 101.

"[3] ـــ نفسه ص 102.

"[4] Nicol Bothorel, Francine Dugast, jean Thoraval/ Les nouveaux Romanciers, Bordas ; Paris 1976, p.22,23.

أما العالم الألسني"تودوروف"فيميز بين القصة والخطاب فيعد زمـن الخطـاب ،زمنا خطيا "linéaire"،أما زمن القصة فعنده متعدد الأبعـاد،" Pluridimensionnel"،ذلـك أن العديد ن الأحداث تجري في وقت واحد،في حين نلفيها في الخطاب تأتي متوالية ،المرة تلو المرة،بسبب الانحرافات الزمنية المتعددة التي تمدنا بها العديد مـن الخطابـات علـى المستوى الزمني "[5]"،ثم يعود فيميز بين ثلاثة أزمنة هي:

زمن القصة،زمن الكتابة،وأخيرا زمن القراءة،فيعد هذه الأزمنة الثلاثة أزمنة داخليـة،فـي حين يرى أن هناك أزمنة خارجية ليست واردة في النص،وهي: زمـن الكاتـب ،زمـن القارئ،والزمن التأريخي، ويقصد به الزمن الذي يستمد منهاالحكي موضـوعه ،وبتـداخل هذه الأزمنة الداخلية والخارجية تتحدد الإشكالية الزمنية للحكي "[6]"

ومن النقاد العرب الذين اهتموا بدراسة الزمن القصصي والروائي: الناقدة " يمنى العيد"،التي تميز في ضوء دراستها لرواية " الطيب صالح" موسم الهجرة إلى الشمال بـين مرحلتين زمنيتين،تتضويان ضمن الزمن المتخيل ،هما:

الحاضر ويتمثل في زمن القص،وهو زمن الحاضر الروائي، الزمن الـذي يـنهض بـه السرد "[7]"،أما الزمن الثاني فهوـ حسب الناقدة ـ (زمن اتجاه الوقائع، وهو زمن ما تحكي عنه الرواية،ينفتح في اتجاه الماضي فيروي أحداثا تاريخية،أو أحـداثا ذاتيـة لشخصـية الروائية)"[8]".

أما الناقدة " سيزا قاسم" فتقسم الزمن بدورها إلى زمنيين:

ـ زمن نفسي،داخلي،وزمن طبيعي خارجي،وهي ترى أن هذين المستويين مـن الـزمن يمثلان بعدي البناء الروائي في هيكله الزمني،فالأول عندها يمثل الخيوط التي تنسج منهـا أنسج النص،بينما يمثل الثاني الخطوط العريضة،التي تبنى عليها الرواية "[9]".

"[5]" Tzveetan Todorov/ Catégories du récit Littéraire ; in –Communication, n 81966,p 138,139.

"[6]" Ibid ; P140.

"[7]" ـ يمنى العيد / في معرفة النص ،دراسات في النقد الأدبي،دار الآفاق الجديدة،بيروت،الطبعة الثالثة،1985،ص227.

"[8]" ـ م ن، ص ن.

"[9]" ـ سيزا قاسم / بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984،ص45.

بعد هذا التأثيث النظري المتمثل في استعراض مختلف الآراء التي أثيرت حـــول الزمن السردي،نصل إلى نتيجة مفادها التقاطع بالإقرار ضمنا أو تصريحا بوجود زمنيـــين محوريين هما:

الزمن النفسي الجواني،والزمن الحسي البراني، وكلاهما ينـــدرج ضـــمن الـــزمن الداخلي،ومادام الأمر كذلك،فإني أرى ضرورة تبني أحد هاذيين المستويين مـــن الـــزمن، وهو الزمن الحسي مع الإفادة مما اعتمده الناقد المغربي" نجيب العوفي في كتابه مقاربـــة الواقع في القصة المغربية القصيرة،وكذا الاستعانة بما اقترحه " جون ريكاردو" في الشكل السابق،عند الحديث عن خاصية سرعة وتباطؤ الحركة.

وعليه فإن هذه الدراسة تركز على الزمن الخارجي لكونه العنصر الأكثر حضـــورا فـــي المنظومة القصصية المنتقاة لهذه الورقة.

وقبل تناول هذا البعد الزمن ينبغي التذكير بالملاحظـــة التـــي ســـجلها " جيـــرار جينات" عندما أكد أن لاوجود لسرد ينعدم فيه الوصف،وهـــي ملاحظـــة تكمـــل مقولـــة " ريكاردو"لاوجود لوصف ينعدم فيه السرد،بمعنى أن كل وصف ينـــتج حتمـــا جانبـــا مـــن جوانب السرد "[10]، والسرد يرتبط ويتشكل من خلال الزمن،بل هو ترتيب للأحـــداث،فـــن تقديمها وفق نسق زمني معين، ولعل العلامة اللغوي ابن منظور قد تفطن إلى هذه العلاقـــة حين ربط بين ترتيب الكلام أو الوحدات القولية والسرد نفسه"[11]،فازمن بهذا المعنى(لـــيس مجرد فضاء أو وعاء للسرد..بل هولبه وعصبه الـــذي بدونـــه ينتفـــي الحـــدث وينتفـــي السرد)"[12].

ولهذا سوف أجدني وأنا أعالج عنصر الزمن الحسي وبنيته أشـــير بـــين الحـــين والحين إلى السرد، لأن السرد هو تنظيم القص،وبناؤه الذي يتشكل عبر قنـــوات الـــزمن، وإذا كان السرد يرتبط بالزمن،فإن الوصف يرتبط بالمكان،حيث يؤثث المكـــان للأحـــداث ويوصف بالسكونية،في حين يتجسد الزمن في نمو وتأزم الأحداث نفســـها ،إضـــافة إلـــى

"10" Jean Ricardou L Nouveaux Problèmes du Roman ;Ed du seuil ,Paris ;1976 ;p32.

"11" ـــنقرأ في " لسان العرب: السرد في اللغة:تقدمة شيءتأتي به منسقا بعضه في إثر بعض متتابعا،آنظر: المجلد الثاني،دار صادر ،بيروت،لبنان،ص 211.

"12" ـــ نجيب العوفي / مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية(من التأسيس إلى التجنيس)، المركز العربي، الدار البضاء، المغرب،ط1،ص 449.

ارتباط الزمن بالإدراك النفسي ،أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي،ويرتبط بالسواكن مـن الأشياء في حين يرتبط الزمن بالأحداث المتحركة "[13]".

وقبل الإمساك بآلية البنية الزمنية في المـتن القصصـي المرصـود فـي هـذه الدراسة،أجدني أمام ضرورة منهجية تستوجب مني تحديد المدى الزمني الـذي تسـتغرقه أحداث القصة النسائية القصيرة،أي الزمن الداخلي للنصوص،وعليه فإن الجـدول البيـاني الآتي لضبط المدى الزمني للنصوص يمكن أن يساعدنا على ضبط طبيعة ومستوى الزمن في النص.

القاصة	عنـــــــوان المجموعة	قصص ذات زمن قصير	قصـــص ذات زمـــن متوسط	قصص ذات زمن رحب
زهور ونيسي	على الشاطئ الآخر الظلال الممتدة عجائز القمر	1ــ سمية 2 ــ الثوب الأبيض 3 ــ المرأة التي تلد البنادق 4 ــ اللوحة 5 ــ لماذا لاتخاف أمي 6 ــ مازلنا نقسم 7 ــ موج برد 8 ــ تعويذة من الجنوب 9 ــ عملية هبوط 10 ــ جزئيات خلفية 11 ــ الجار	1ــ الثوب الأبيض 2 ــ موسم التفاح 3 ــ لا رائحة للندم	1ــ المصير 2ــ هؤلاء الناس 3ــ على الشاطئ الآخر 4ــ وراء القضبان 5 ــ مجهول 6 ــ خرفية 7ــ فاطمة 8ــ زغرود الملايين 9 ــ عقيدة وإيمان 10 ــ الظلال الممتدة 11 ــ حديقة الله 12 ــ مجرد عتاب 13 ــ الشيئ

"[13]" ــ رابح الطرش / بناء الرواية العربية الجزائرية،مخطوط ماجستير ،جامعة عين شمس ،مصر 1990 ــ 1991 ص 161.

		الجنب 12 ــ الحلم والكابوس 13 ــ يوم الرحلة في .. 14ــ الخبز والحرية 15 ــ عجائز القمر	4 ــ نهايات متشابهة 5 ــ تحت جناح البرنوس	المؤكد 14 ــ بحر الطوفان 15 ــ ابنة الطوفان 16 ــ وأصبح الألم نورا
جميلة زنير	دائرة الحلم والعواصف مجلة آمال العدد 11 مجلة آمال العدد41	16 ــ رائحة البصل 17 ــ نداء الأمومة 18 ــ المطاردة		17 ــ دائرة الحلم .. 18 ــ لن يطلع القمر 19 ــ ثقوب في الذاكرة 20 ــ سيعود إلي 21 ــ الأسوار العروقة 22 ــ الحذاء 23 ــ الآمال الضائعة 24 ــ الهفوة الأولى 25 ــ حب في القرية 26 ــ الوديعة
نزيهـــــــة السعودي	الحـــب فـــي الزمن الهارب	19 ــ أول خطوة خارج أسوار الذات 20ــ لحظات	6 ــ الحي في الزمن الهارب 7 ــ ثلاثة محاولات	27 ــ وجه المدينة الآخر 28 ــ الزوجة

		حرجة 21 ــ الذيول 22 ــ المفاتيح الذهبية 23 ــ حديقة أحزاني 24 ــ وقرأت في كفي	انتحارية 8 ــ العالم الجديد 9 ــ الأمنية المثمرة 10 ــ الذئب 11 ــ حب وحرب 12 ــ غرفة كاتبة 13 ــ موعد في المحطة 14ــ الرجل تحت غرفتي	الصغيرة 29 ــ ليست عذراء 30 ــ الانحدار
نزيهة زاوي درار	الطفولة والحلم	انتظار		31ــ دموع تصد الريح 32 ــ الحيرة والميلاد 33 ــالطفولة والحلم 34 ــ الجرح الذي انفتح 35ــ أمومة 36 ــ سطور أفلتت من الزمن الأسود 37 ــ ثرثرة امرأة
أم سهام	الرصيف البيروتي من يوميات أم	26 ــ نزهة لها ثمن 27 ــ من القاتل	15 ــ من يوميات أم علي	38 ــ الرصيف البيروتي 39 ــ من ليالي آلكابون 40 ــ أوراق من

	علي			مفكرة آلكابون 41ــ مصرع آلكابون 42ــ نبش في أعماق الذاكرة 43 ــ الذهب ومعركة الجوع والبقاء 44 ــ مكالمة 45 ــ ماء سعيدة..
نورة سعدي	أقبية المدينـــة الهاربة	28 ــ امرأة في مهب الريح 29 ــ تذكرة سفر 3 ــ إنسان 31 ــ الطقم 32 ــ شهيدة الجنة	16 ــ المتمرد الصغير 17 ــ أقبية المدينة 18ــالتجديف في الاتجاه المعاكس 19 ــ قطعة من الاسفلت	46 ــ حفريات على جدار من لحم 47 ــأن تكون حاضرا غائبا 48 ــظل رجل 49 ــ الصريعة 50 ــفنان 51 ــ وجهان لامرأة واحدة 52 ــ الجثة
زوليخة بن اسماعيل	الحيطان العالية	33 ــ معركة الخنافس 34 ــ الغسالة		53 ــ قصة حواء 54 ــ الكرافاش 55 ــ ملحمة النزيف 56 ــ سوار من راية 57 ــ من

				معجزات نوفمبر 58 ــ زريبة الأمل 59 ــبائعة البيض 60ــ الجلباب الملعون 61 ــ مذكرة أسرة 62 ــ النار تلد الرماد
زكية علال	وأغرقت سفينة العودة	35 ــ هوية مفقودة 36 ــ الاتهيار 37 ــ الحقيقة خارج الوجود 38 ــ الخروج..		63 ــ وأغرقت سفينة العودة 64 ــ بصم سوداء 65 ــ عروس إلى القبر 66 ــ قاتل أمه 67 ــ الاختبار 68 ــمذكرات من باريس
زوليخـــــة السعودي	آمال ع 1 ــ 6 مجلة الضاد ع 10 ــ 11			69 ــ عرجونة 70 ــ من البطل 71 ــ من وراء المنحني 72 ــ عازف الناي
جميلـــــة ميمون	آمال العدد 38			73 ــ الأمية

وردة " ع "	آمال			74 ــ طريـــد الجنة
جميلة خمار	آمال العدد 61			75 ــ البـــاب العلق
ياســـــمينة جغلول	لن أحيد عنك	39 ــ دوامـــــة الخرساء	20 ــ صهوة الظلام 21 ــ قوس قلب.. 22 ــ الابتسامة الأبدية	76 ــ زهرة أحرقتها الصاعقة 77 ــ عصبية الذاكرة 78 ــ الموت في جحور الذئاب 79 ــ الذاكرة الرمادية 80ــ ياسين

أولا: الزمن القصير

وأعني به الفترة الزمنية التي تستغرقها احداث القصة،حيث لاتتجاوز اليوم والليلة على الأقصى،وقد تتقلص هذه الفترة إلى بضع ساعات،وغالبـــا مـــايقترب حجـــم الـــنص القصصي للنماذج المندرجة ضمن هذا المستوى بزمن الحكاية،بل ويطابقـــه تمامـــا عنـــد استخدام الحوار،أوإيراد جزئيات الحركة والخطاب "[14]".

وتدخل في مجل هذا المستوى النصوص التي تنضـــوي عـــادة ضـــمن قصـــص الموقف،أو الحالة،حيث يتسم زمن هذا المستوى الزمني بالتكثيف المسلط على الشخصـــية والحدث، والحقيقة أن (تكثيف الزمن عبر لحظة واحدة، ومركزة الحـــدث حولهـــا، مـــن ركائز القصة القصيرة عكس الرواية التي يكون عادة مدارها جماعـــة مـــا،فـــي مرحلـــة طويلة)"[15]"،ومن النماذج التي تدرج ضمن هذا المستوى قصـــة " موجـــة بـــرد" "[16]"التـــي تستوعب أحداثها حوالي ثلاث ساعات،إذ تبدأ من مغادرة المدير المخلوع بيته الفخم باتجاه

"14" ــ سمير المرزوقي ــ جميل شاكر / مدخل إلى نظرية القصة،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ص 93

"15" ــ محمد كامل الخطيب / الرواية والواقع، دار الحداثة،الطبعة 1,1981،ص 23.

"16" ــ زهور ونيسي الظلال الممتدة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1979 ص 59.

إدارة المصنع،أن يصطدم بحضور الوزير،الـذي حضـر خصيصـا لتنصـيب المـدير الجديد،دون علم بالأمر ، فقد كان كل العمال والموظفين على علم إلا هو،الأمر الذي جعل يعود إلى بيته منكسر الخاطر في منتصف الليل.

أما قصة " المطاردة " "[17] فتسـتغرق الفتـرة الزمنيـة التـي تغطـي مرحلـة المطاردة،حين يعمد شاب مراهق إلى مغازلة فتاة ريفية خرجت إلى شوارع المدينة لاقتناء بعض حاجياتها،تتفطن إلى مضايقاته،وخبث نواياه،فتهـرع إلـى الحافلـة،لكنـه يقتفـي أثرها،وتصل به الوقاحة حتى ملامسة جسدها متعمدا تحت مبرر الزحام،وعنـدما تلفظهـا الحافلة،تحث السير لتختفي عن بصره ،تقصد مخبزة لشراء الحلوى،فتندهش لاختفاء النقود من حاقبة يدها ، حينها تعلم أن الشاب الذي ظل لصيق بها منذ الصباح ،مـاهو إلا نشـالا محترفا.

كما تعد قصة " الخنـافس"[18]"، كـذلك مـن النصـوص ذات المـدى الزمنـي المحدود،ففترتها الزمنية تدوم جزءا من النهار ،وليلا كاملا،فعندما تعود الشخصية الراويـة من المدرسة، التي تشتغل بها كمعلمة،لاتجد الراحة التي تبحث عنها،لأنها تقطن في شـقة بالطابق الأول فوق حمام يقع في الطابق الأرضي،وعندما تهدأ حركة الـرواد ،أو صـوت مرجل الحمام تلوذ بمخدعها بحثا عن الراحة،لكنها تصاب بأرق بسبب ظهـور الخنـافس نتيجة الحرارة الصاعدة من الطابق الأرضي،فتقضي ليلهـل صـاحية بحثـا عـن هـذه الحشرات، وعندما ينفلق الصبح تلفي نفسها مرهقة مكدودة،لاتملك قوة نواجه بها تلاميـذها في المدرسة.

أما الأنموذج الرابع ، والذي كتفي به ليس لقلة نصوص هذا المستوى،وإنمـا لأن أربعة نصوص كافية لتمثل هذا المستوى،فيتمثل في قصـة " الـذيول" "[19]"،حيـث يسـرد الراوى ما وقع لرب أسرة خرج من بيته صباحا طالبا السوق فوجد طابورا وقـف خلفـه ينتظر دوره، ولأن الطابور يجمع النساء والرجـال علـى حـد سـواء،التصـق بـامرأة بدينة،كانت تقف أمامه، وراح يستمتع بلحظات الالتصاق،ويشعر بلذة غريبة تسـري فـي كامل جسده..وفجأة تلتفت إليه المرأة وترش وجهه بالبصاق ،وعندما يصله الـدور يجـد

"[17] أ جميلة زنير / دائرة الحلم والعواصف،المؤسسة الوطنية للكتاب 1983 ص 97.

"[18] ــ زوليخة بن اسماعيل خربوش / الحيطان العالية،مطبعة قرفي ،باتنة ،الجزائر 1983،ص 45.

"[19] ــ نزيهة السعودي/ الحب في الزمن الهارب،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة، الجزائر 1983، ص 44.

سرة نقوده قد انتشلت منه ، فيعود منكسرا إلى المكان الذي ركن فيه دراجته ،فيجدها قـد اختفت،فيصاب بنوبة جنون نتيجة الصدمة.

ثانيا: الزمن المتوسط

وأعني به ما تجاوز زمن نصوصه الداخلي اليومين،وقد تتد الفترة إلـى أسـابيع وأشهر على أكثر تقدير.

من النصوص التي تتدرج ضمن هذا المستوى،قصة " من يوميات أم علـي "[20]، التي صيغت على شكل مذكرات يومية،تغطي أحداثها السردية فضاء زمنيا يستغرق أربعة أيام من الانتظار ،والمعاناة من خلال الشخصية المحورية الوحيدة أم علي ،وهـي رمـز لفلسطين المضطهدة،تتوزع المشاهد السردية للقص كالآتي:

ـ اليوم الأول يصور صبر أم علي وإيمانها بالفرج الآتي.

ـ اليوم الثاني يصور تعثر أم علي وهي تبحث في الانقاض التي خلفتها القنابـل علـى أشلاء زوجها.

ـ اليوم الثالث يشتد الجوع والحصار عليها وعلى أبنائها ،لكن عزيمتها تشـتد ،وتقـوى أكثر.

-اليوم الرابع تفقد أبناءها واحدا ،واحدا ،بسبب حدة الجوع وطول الانتظار،ومع كل هـذه المحن تظل أم علي أما لكل الفلسطينيين عالية الجبين ،تنبت في قلبها نخلة خضراء.

أما النص الثاني ضمن هذا المستوى فهو " المتمرد" الصغير "[21]،وكمـا يـومئ العنـوان يتضمن مضمون القصة إصرار زوجة على تحديد نسلها بوسائل عدة،تتراوح بين تنـاول نقيع أعشاب خاصة،والإكثار من استهلاك أقراص " إيبسا" إلى حقـن " بـانزو" الخاصـة بالإجهاض ،وعلى الرغم مما بذلته لإسقاط الجنين،تنتصر إرادة الله ،ويهبط الجنين متمردا على كل تلك المحاولات،يستغرق الزمن الداخلي مدة الحمل المقدرة بتسـعة أشـهر،وهـو زمن اعددته متوسطا لكون الزمن الأرحب كما سيأتي يمتد إلى سنوات أحيانا.

"20" عمارية بلال " أم سهام" / من يوميات أم علي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1990،ص 29.

"21" ـ نورة سعدي / أقبية المدينة الهاربة،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1989،ص 13 .

ثالثا: الزمن الرحب

وهو المستوى الثالث في المدى الزمني للمتن القصصي المرصـــودة فـــي هـــذه الدراسة،يستغرق زمن نصوصه الداخلي شهورا وسنوات ،عبر سوابق ولوحق ذاتية "[22] . والوقع أن هذا المستوى يناسب الشكل الروائي ،لكونه يختزل الأحداث،ويرويها بعيدا عـــن نسيجها الحياتي،وآنيتها الزمنية،ومع ذلك(فإن الزمن لا يكتســـب أهميتـــه مـــن الأمـــور الخارجية التي تقع فيه فتصبح بعض الأحداث هامة،وبعضها غير هامة،حيث أن المهم هو الحياة في سيرها، أو لونها حياة لا أكثر،ولاأقل،فهي القيمة المطلقة لاالحدث الخارجي "[23]. إن عدد نصوص هذا المستوى يمثل الكم الأكبر في المتن القصصي المرصـــود للبحـــث، بحيث بلغ ثمانين نصا في حين لم يتجاوز عدد نصوص الزمن القصير ثلاثين نصـــا،أمـــا نصوص الزمن المتوسط فعدده أقل ،حيث لم يتجاوز في مجمله اثنين وعشرين نصا.

ولتمثل المدى الزمن لهذا المستوى سوف أنتقي جملة من القصـــص مـــن بينهـــا الظلال الممتدة "[24]،وهي إحدى النماذج التي يغطي زمن أحداثها الداخلي فقرة واسعة تقدر بخمسة وعشرين عاما ،حيث تتبنى القاصة قصتها من صورة وصفية سردية تحـــدد فيهـــا الإطار " الزمكاني،فالزمان هو مناسبة الاحتفال بالذكرى العشرين لعيـــد الاســـتقلال،وأمـــا المكان فهو شقة بعمارة كبيرة تقع في وسط العاصمة..،ثم بعد أن تقدم بعض الملامح عن" زينب " الجدة، تسترجع وقائع الحكاية عبر ذاكرة الشخصية ليسيطر الزمن الداخلي حتـــى النهاية، أين تعود بالأحداث إلى نقطة البداية،والواقع أن عنصر الزمن ليس هو الـــذ يحـــدد جنس النص، فنقول إنه رواية أو قصة،بحيث قد نجد نصوصا روائية تعتمد زمنا قصيرا ، وهي خاصية تختص بها القصة القصيرة حتى ليمكن تحديد زمن أحداث الرواية "[25] بيـــوم

"[22] ـــ السابقة الذاتية (prolepses subjectives) تتعلق بالتطلعات المستقبلية للشخصية المحورية،أما اللاحقة الذاتية((subjectives analepses ،فهي تعلق أفكار الشخصية بالماضي عن طريق ذكريات استرجاعية.
آنظر: سمير المرزوقي ،وجميل شاكر/ مدخل إلى نظرية القصة..ص 81 ـــ 82.

"[23] ـــ سيزا أحمد قاسم / بناء الرواية ،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب و1984، ص 63.

"[24] ـــ زهزر ونيسي / الظلال الممتدة...ص 13

"[25] ـــ رواية الزلزال المتكونة من 223 ص لطاهر وطار تعتمد وحدة الزمكان، مكان وقوع الأحداث قسنطينة بمختلف شوارعها وأزقتها ،زمنها لا يتجاوز يوما واحدا،وهو اليوم الذي مكن الروائي من زيارة الجسور السبعة التي تشكل فصول الرواية،فالعبرة إذن لاتكمن في تحديد الزمن الفيزيائي،وإنما يتعلق الأمر بأحاسيس النفس البشرية،من خلال تعاملها مع المشاعر والانفعالات.

أو يومين ،في حين نلفي قصصا قصيرة يستغرق زمنها الداخلي أعوامـــا أو عقـــودا "[26] " فالفصل إذن بين القصة والرواية،لا يقتصر علـــى كثافـــة الأحـــداث ،أو رحابـــة الـــزمن وحده،وإنما يتوقف على عدد الصفحات،أي حجم النص..مع ضرورة اســـتيعابه لأحـــداث عديدة متشعبة ومتداخلة،بسبب تعدد الشخصيات في النص،فالقصة القصيرة ترتكز حســـب تصوري على حادثة واحدة،أو أكثر وشخصية واحدة أو أكثر عكس الرواية التـــي تشـــكل أحداثها شخصيات متنوعة ،ومتعددة المستويات والأدوار،وقد تكون من أجيال متعاقبة.

ومن النصوص التي يمكن إدراجها ضمن هذا المستوى قصة " ثقوب في ذاكـــرة الزمن "[27] ،وهي في رأيي رواية مضغوطة،نظرا لتعدد شخصياتها ،واتساعا زمنها الـــذي يغطي فترة الاحتلال ،وسنوات الاستقلال من خلال فتاة متحجبة تقصـــد الكاتبـــة،لتكتـــب قصتها،فتروي على مسامعها ما وقع لها ،لأسرتها من أحداث ومآس،إضافة إلـــى اتســـاع رقعة القصة حيث يصل عدد صفحاتها خمسا وثلاثين صفحة من أصـــل ســـبع وثلاثـــين صفحة،التي تشكلها المجموعة المتكونة من عشرة قصص ، ومن القصـــص ذات الـــزمن الرحب "وقصة" سطور أفلتت من الزمن الأسود" "[28]،حيث يمتد زمنها الداخلي إلى فترة ما بعد الحرب الكونية الثـــاني مـــرورا بســـنوات الجمـــر للثـــورة التحريريـــة الجزائريـــة الكبرى،وصولا إلى عهد الاستقلال.

وقصة" عرجونة "[29]"، التي تبدأ أحداثها المتشعبة مـــع مطلـــع ثـــورة التحريـــر الجزائرية، وتتواصل عبر زمن داخلي إلى ما بعد الاستقلال، ومن خـــلال قصـــة " مـــن البطل "[30]"، يمتد الزمن إبان ثورة التحرير إلى أربع سنوات، تتقاسم ضغطها شخصـــيات متعددة داخل ، وخارج الوطن.

في ضوء النماذج القصصية المتقدمة ،والمندرجة ضمن الـــزمن الرحـــب نلمـــس نوعين من النصوص:

"[26]" ـــ قصة " الزوجة الصغيرة" لتريهة السعودي ،حجمها السردي لا يتجاوز ورقتين من الحجم الصغير،غر أن زمنها الداخلي يستوعب فترة زمنية واسعة تغطي مرحلة المراهقة للصبية ،وزواجها وإنجابها لعدد كبير من الأطفال بين بنات وذكور،آنظر: مجموعة الحب في الزمن الهارب ص 50.

"[27]" ـــ جميلة زنير / دائرة الحلم والعواصف،م س ، ص 25

"[28]" ـــ نزيه زاوي درار /الطفولة والحلم،م،س ،ص 59.

"[29]" ـــ زوليخة السعودي/ مجلة آمال الجزائرية،العدد السادس

"[30]" ـــ زوليخة السعودي / المجلة نفسها ،العدد الأول

ــ النوع الأول ينتمي إلى جنس القصة القصيرة نظرا لاقتصاره على شخصية واحـدة،أو أكثر، وحصر حدثه حول موقف واحد معين.

ــ أما النوع الثاني فينفلت من جنس القصة القصيرة ليطارد الروايـة ،أو علـى الأقـل " الميني رواية" ،كما اصطلح على تسميته عندنا في الجزائر،من حيث شكله المتكـون مـن فصول،أو مقاطع،وتداخل أحداثه،وتشعبها ،وتعدد الشخصيات وتنوعها فيه.

وما يلاحظ على النوع الثاني ،أن كل موضوعات نصوصه مستمدة من الحوادث التاريخية لثورة التحرير الجزائرية،ولعل معايشة القاصة لتلك الأحداث جعلها تتابع بعـين فاحصـة، وبشيء من التفاصيل مجريات الأحداث،وهو السبب الذي النص(يعيش حيرة زمنية سردية بسبب اتساع الفضاء الزمني، ووفرة المادة الحكائية) "[31].

يتضح إذن من خلال جدول المدى الزمني البياني السابق للمـتن القصصـي النسـائي أن النصوص تنقسم حسب الزمن الداخلي إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

يمثل في رأيي مرحلة متطورة،ناضـجة ،بحيـث تتميـز نصوصـه بالكثافـة اللغوية،وقلة المادة الحكائية،كذا الاعتماد في تشـكيل المسـار السـردي علـى الصـورة الذهنية،والصورة النفسية للشخصية المحورية،والتي صارت لا تكتمل بصورة واضحة إلا بمشاركة المتلقي عن طريق إعادة تركيبها في مخيلته بعد القراءة النهائية،وتمثلهـا تمـثلا تخييليا وجماليا.

القسم الثاني :

يستوعب النصوص ذات الزمن المتوسط،الذي يتجاوز اليومين إلـى عـدة أيـام وأسابيع ،وقد يمتد شهورا أحيانا حسب طبيعة الحكاية.

يختلف هذا القسم عن السم اللاحق لكون شخوص نصوصه لا تعيش أو تتحـرك في زمن رحب واقعيا،أو تخييليا،وإنما تعتمد القاصة إلى القفز، وتجاوز بعض التفاصيل،لا لتبتعد عن الشخصية الحكائية،وإنما لتربط القارئ بوحدة الحدث،كمـا تضـيق فـي هـذا القسم،والقسم اللاحق المشاهد القصصية،التي ترتكز على ثبات الفعل والحركة،فـي حـين تغطي مساحتها السردية،الخصية الإخبارية.

"[31] ــ نجيب العوفي / مقاربة الواقع في القصة القصية المغربية ، من التأسي إلى التجنيس ،م ،س ،ص 452.

القسم الثالث:

تتدرج تحته النصوص ذات الزمن الرحب، وتستغرق أحداثه شـهورا وسـنوات عبر لواحق سردية"[31]،وهو مستوى زمني يناسب الرواية لاعتماده على المادة القولية أكثر من اعتماده على الحركة القصصية السريعة التي تستوجب اقتصادا في اللغة وتكثيفـا فـي المعنى.

بعد هذا الاستعراض للمدى الزمني للمتن،يمكن تلمس مسـتويات البنيـة الزمنيـة للقصة الجزائرية القصيرة عند المرأة،حيث عرفت أو عايشت مستويين: مسـتوى عـرف فيه فن القصة حيرة زمنية كبيرة،ومتوسطة،ومستوى عرف فيه اسـتقرارا زمنيـا بسـبب التركيز على المشهد القصصي،والصورة الدرامية للحكاية.

وقد تم هذا التحول نتيجة وعي قصصي اختمر طـويلا،وتـدرج مـن الصـورة القصصية إلى الرواية،وكذا الكتابات الذاتي المحصورة في هموم الأنثى وانشغالاتها،إلـى الحسم النهائي بين الأشكال "[32]،وما يلاحظ على الكتابة القصصية النسائية في الجزائـر أن العديد من القاصات اللاتي واصلن الكتابة استطعن أن يزاوجن بين كتاب القصة القصـير والرواية،دون أن ينتصر شكل على آخر.

إن النتيجة التي يمكن التوصل إليها في ضوء الجدول البياني السابق،تتلخص فـي الكم القصصي ذي الزمن الرحب حيث بلغ ثمنية وتسعين نصا،بينما اقتصر الكم القصصي ذو الزمن المتوسط على واحد وثلاثين نصا،مما يؤكد أن الزمن الحسي الذي يشـيع فـي النصوص ذات الارتدادات ،والفجوات الزمنية المتكـررة أكثـر حضـورا مـن الـزمن النفسي،ولهذا (غلب الزمن الدياكروني المتتـابع علـى الـزمن السـانكروني المقطعـي المتقاطع،وتقاطع هذا الزمن إن تم فهو طفيف ،وشكلي لا يخرق القاعدة التي هـي غلبـة وهيمنة الياكرونية كما انبنـى هـذا الـزمن نحويـا علـى الماضـوية،أي بنيـة الفعـل

"31" ـــ اللاحقة السردية Analepses هي إيراد حدث سابق عن طريق ذكريات استرجاعية سابقة للنقطة الزمنية التي بلغها السرد.

آنظر: Gérard Gznette.Figures111.ed.seuil 1972 p 90.

"32" ـــ على سبيل المثال زهور ونيسي تدرجت في التعامل مع الأشكال السردية حسب ما يأتي:

ـــ الصورة القصصية ،نلفيها في محاولاتها الأول في البصائر لسنة 1955 وما بعدها

ـــ القص القصيرة الناضجة نلفيها في مجاميعها القصصية،الرصيف النائم،1967،على الشاطئ الآخر 1974،الظلال الممتدة 1994.

ـــ السرة الروائية الذاتي:نلفيها في يوميات مدرسة حرة 1976

ـــ الرواية الفنية بلفيها في لونجة والغول 1994.

الماضي)"[33]كما سيتضح لاحقا،هكذا نلفي أنفسنا أمام ثلاث خواص زمنية هـي :الأفقيـة، الماضوية،وسرعة وتباطؤ الحركة.

أولا : الخاصية الأفقية

وأعني بهذه الخاصية ظاهرتين متلازمتين:

ــ الظاهرة الأولى يتخذ فيها الـزمن إيقـاعين متقـابلين،إيقـاع سـاكن تكونـه الجملـة الاسمية،وإيقاع متحرك تهيمن عليه الجملة الفعلية.

ــ أما (الظاهرة الثانية{أو الوجه الثاني للأفقيـة الزمنيـة}،فتتمثـل فـي اتسـاع الحيـز الزمني،وانتشاره)"[34]،بحيث يشمل الاختزالات،والفجوات،السبب الذي يسم زمـن الحكـي بالطول ،في حين ينحسر زمن القول.

تفتتح النصوص المنضوية ضمن الظاهرة الأولىــ في إيقاعها السـاكن غالبا ـــ بخلفية تمهد لأحداث القصة في صورة لازمة متكررة،هي بمثابـة(حجـر الواويـة فـي القصة،ونواتها الأولى..التي تؤثث وتهيئ افضاء القصصي،وتنسج أولى خيوط العقدة)"[35]. وفي ظل وفرة الشواهد والعتبات القصصية الدالة على هذه الظاهرة سوف أقتصـر علـى بعض النماذج.

الكاتبة زهورونيسي تستهل بعض نصوصها مؤطرة لفضائها القصصي،فتقول في قصة " لماذا لا تخاف أمي:

(كانت رطوبة الليل قد بدأت تجف من اعلى الأسوار والـديار فـي الضـاحية الشـعبية البسيطة،والنور يصب من شمس يوم جميل من أيام ديسـمبر علـى الأرض والخضـرة ليلمس كل شيء برفق وكرم)"[36] .

أما جميلة زنير فتؤثر الاستهلال الذي يهيـئ للفضـاء القصصـي مـن خـلال الحركة،والتكثيف الوصفي ذي المسحة الإيحائية من خلال مطلـع قصـتها " لـن يطلـع القمر"،فتقول:

"[33] ــ نجيب العوفي / مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية..م،س،ص 122.

"[34] ــ م،ن،ص 126.

"[35] ــ نفسه،ص 126

"[36] ــ آنظر: مجموعة على الشاطئ الآخر ،ص 129.

كان القمر يلقي بخيوط رمادية مشدودة لنور يتراءى عبر زجاج النافـذة،يرسـل بهـدوء ليسكب أشعته الناعمة كي يخفف عن النبات والمخلوقات حـرارة الأنفـاس حـين تلهـب الجو)"[37].

وهناك من القاصات من تعمد إلى وصف مظاهر الطبيعة وصفا مباشـرا قصـد إسقاط مظاهرها على الشخصيات القصصية ذهنيا ونفسيا،كنزيهة زاوي درار،التـي تلجـأ في قصتها"دموع تصد الريح" إلى تصوير فضاء الحزن من خلال مشهد طبيعي غاضـب يجمع بين معاني الخوف والرعب،ودلالات الانطواء والانكماش،وهو المشهد الذي يلعـب دورا فنيا في التهيئة للمأساة القادمة،تقول فيه:

(..الضباب يلف القرية المنكمشة عند سفح الجبل الذي وقـف شـامخا متحـديا عصـف الرياح..السماء تنزف بقوة..الرعد يستعرض عضلاته،يرعب الجميع بزمجرتـه وشـهبه الحادة)"[38]

أما أم سهام فتخفق في التأثيث لنقل المشهد المأساوي الذي تتضمنه قصتها" نزهـة لها ثمن"[39]،حيث تركز على جمال الطبيعة،وبهاء فصل الربيع دون إيماءة بقرينـة فنيـة تشير إلى ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ،وهو يواجه النص،تقول في مطلـع قصـتها هاته:

(الطبيعة نزعت لباس الشتاء..الفاتر للون،وارتدت برنـوس الربيـع المـزركش بـأبهى الألوان،النسيم العليل يرشق الناس بالورود والرياحين،حل الربيع ،غمـر العـين والقلـب والندى،فكان الناس على موعد مع الطبيعة هذا اليوم.)"[40].

إن هذا المطلع يكرس إنشائية مدرسية فاترة،فهو ليس مفصـولا عـن مضـمون المحتوى فحسب،بل يخبر عن تساهل كبير مع فن القصة عـام،والاسـتهلال القصصـي خاصة.

إن الافتتاحية القصصية لا تنفصل عن محتوى القصة،بـل هـي وثيقـة الصـلة بها،تنطوي على وظيفة مهمة،تتمثل في تهيئة القارئ،وإدماجه في عالم القصة،كما تؤسـس

"37" ـــ آنظر / مجموعة دائرة الحلم والعوصف ،ص 21.

"38" ـــ آنظر:مجموعة الطفولة والحلم ،ص 9.

"39" ـــ يتلخص مضمون القصة في أسرة خرجت إلى النزهة في يوم من أيام الربيع طلبا للمتعة بالغابة المجاورة للمدينة،فتقضي يوما بهيجا ،وعند العودة في المساء لا يتفطن الأب إلى ابنته التي كانت تجمع الأزهار خلف السيارة ،فيعود إلى الوراء ويدوسها وتقع المأساة

"40" ـــ آنظر:مجموعة الرصيف البيروتي،ص 95.

كذلك للحدث المحوري،وتفرش وتؤثث للبيئة القصصية،وملامـح الشخصـيات وطبيعـة الأحداث،والافتتاحية في الأصل تنهض على عنصرين أساسيين هما:الزمن،والمكان.

كما أن الافتتاحية تنطوي على وظيفة فنية أخرى تتجلى في سكونية الزمن،جـوده قصـد تقديم أجواء وعوالم النصوص التخييلية،بل تعد أهم عنصر لأي موضـوع قصصـي،لأن الكاتب لمجرد ما يواجه بياض الورق تكون ملامـح الشخصـيات قـد اتضـحت لديـه تماما،وتماوجت تقاسيمها في تلاحم وانسجام.

فالافتتاحية هي صورة مصغرة لفضاء العمل القصصي،حيث يكون الـزمن فـي البدء جامدا، ثم سرعان ماتتثال الصور (البانورامية)ـ وأقصد بها المشاهد العامة المكبـرة التي لاتحدد تفاصيل الأشياء ـ فيطغى المكان على الزمان، ويتحول الـزمن إلـى خـادم للمكان،فتتشكل الصور،وتتضح المشاهد،على هيئة ساكنة تتسم بـالجمود والثبـوث،علـى عكس مشاهد الحدث،التي تسيطر فيها الحركة،لكن هذا الزمن الموسوم بالبرودة والصـلابة يتغير لجرد ما تتوفر أسباب دفع الأحداث نحو التوتر والتأزم.فيغدو ديناميا حيا تحت تأثير النمو الطبيعي للحركة القصصية العامة.

فالافتتاحية القصصية إذن للنماذج اللاحقة هى بمثابة وقفـات ومشـاهد زمكانيـة تمهيدية تقوم بوظيفتين أساسيتين:

ـ الوظيفة الأولى إخبارية،تخبر بقرائن مادية على مستوى اللغة وتقنيات الوصـف،عمـا يأتي من أحداث،بل وتكاد تنطق عن فحواها قبل الولوج في عالم التفاصيل.

ـ أما الوظيفة الثانية فإيجابية،في ضوئها تظهر براعة القاصة،ومهارتها في إيجاد البدايـة التي تثير القلق،وتنطوي على ما يمكن أن يأسر القارئ منذ البدايـة،وهاتـان الوظيفتـان متكاملتان،ومتداخلتان،بهما تتشكل عضوية العلاقة الجماليـة والمعرفيـة بـين الاسـتهلال ومضمون النص.

فاستهلال "زهورونيسي"السابق يوحي بأن هناك شيئا ما قد بدأ يتحرك في أعمـاق المجتمع الجزائري،وبخاصة في الأوساط الشعبية البسيطة،هذا الشيء المتنامي الذي لمحت إليه الافتتاحية هو استعداد الجماهير لمظاهرات 11 ديسمبر 1961،الذي تتمحـور حولـه القصة من أولها إلى نهايتها.

أما استهلال " جميلة زنير" فينبئ بأن هناك حدثا مأساويا وشـيك الوقـوع ،وهـو انكسار فاطمة،تبخر تلك الأحلام الوردية التي نسجت خيوطها الدقيقة في الحلو والمر مـع

ابن عمها،الذي وعدها بالاقتران فور عودتـــه مـــن ديـــار الغربـــة"*"،وهكـــذا مـــع بـــاقي الاستهلالات.

إن الزمن في مرحلته الأولى حين يهيمن الوصف يكون هادئا،يشبه فـــي تدرجـــه النامي الإيقاع الموسيقي الذي يبدأ في الصعود والتنامي في القطع الكلاسيكية،أوما يطلـــق عليها بالسانفونية.

والمقدمات القصصية في هذا السياق،تمهد لبؤر سرد حادة قادمـــة،لايـــتم تأزمهـــا وبلوغ ذروتها إلا بتلك الإشارات التمهيدية،حيث(يصحو الزمن من رقدته،وتفقـــد الحالـــة الأولى" حالة اللافعل" توازنها وطمأنتها وركودها ،تحـــت تـــأثير الحالـــة الثانيـــة" حالـــة الفعل"،التي ستغمر فضاء النص بالحركة وستشكل محوره أو زمنه الحقيقي،حيث يتســـارع إيقاع اللغة بتسارع إيقاع الزمن..)"[41]".

وفي هذا السياق نلفي الناقد البريطاني " ماييز سترنبرج" في كتابه " نظرية القص" يؤكد هذا التحول الزمني في معرض حديثه عـــن بنـــاء الافتتاحيـــة ،وعلاقتهـــا بـــالنص القصصي،فيقول:

(إذا سلمنا بهذه الوظيفة الفنية الأساسية للافتتاحية ــ أي تقديم عالم القصة التخيلي ــ فإنه يستتبع ذلك أن يقدم الكاتب في الافتتاحية عالمـــا ثابتـــا ســـاكنا تتميـــز أحوالـــه بالرتابـــة والسكون،وإذا ترك نفسه في هذا الموقف الأول فإنه لايمكن أن يؤدي إلـــى شـــيء ســـوى تكرار الأحداث المعتادة ويستمر في الدوران في الفلك نفسه،لذلك فإن الجزء اللاحق يجب أن يقدم ظرفا مميزا لاتتوقف طبيعته على أنه حدث محدد فحســـب بـــل يجـــب أن يمثـــل تطورا" ديناميا" ..يتسبب في دفع الأمور إلى المرحلة التالية مـــن الأحـــداث..) "[42]" .وقـــد تتضح الظاهرة إذا ما استتبعنا تنامي النصوص نفسها حيث يصير زمن الـــنص مســـاويا زمن الحدث تقريبا،بل ويطابقهأحيانا، فالظاهرة واحدة تقريبا حيث يتم الانتقال مـــن حالـــة اللافعل إلى حالة الفعل في كل النصوص ،بخاصة النصوص ذات البنية الهرمية.

"*" ــ تستقبل فاطمة الفتاة الريفية الهادئة رسالة من ابن عمها أحمد يشعرهم فيها بأنه تزوج من فرنسية،فتصاب بإحباط شديد،ومنذها لم يعد يهمها أن يطلع القمر أو يأفل.

"41" ــ نجيب العوفي / مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية..م،س،ص 124.

"42" ــ سيزا قاسم / بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ..ص 36.

وحتى نعطي فرصة لأكبر عدد من النصوص قصد الافصاح عن فحواها أقتـرح نتفا من نصوص أخرى،وأسجل المشاهد الآتية،تقول زهور ونيسي:(تنحنح وهو يقترب من الغرف..حتى تستر الجارات ونظر وهو يقترب من" بوبة" مشمئزا يكاد يبصـق..دون أن يخرج من فمه شيئا بل دون أن تنفرج شفتاه،وقد أطبقتا مشققتين مغبرتين)"43".

فهذا المشهد الإيقاعي الذي يتكرر باستمرار في المتن القصصي ــ أعني التحـول من الثبوت إلى الحركة ــ يحفز الحدث القصصي ويدفع العمل نحو التأزم،فيصير العمـل القصصي محكوما بطرفين أساسيين،أو بإيقاعين متطابقين كما سيأتي لاحقا.

والظاهرة نفسها نتلمسها عند نزيهة السعودي،التي تختم عملها القصصـي بهـذه الخاتمـة المشهدية الدرامية (سقطت أم العروس مغشيا عليها،طوقتها النسوة يردن الفتك بها،خـرج العريس ،مى القميصين نظيفين على الأرض..في خضم هذه الأحداث تسرب شبح ملتـف بالبياض،عاري الساقين،منسدل الشعر،وانحدر في دروب القرية مذعورا)"44"،وهو الإيقـاع الذي يتكرر فى أغلب النصوص ذات البني الهرمية،فعلى خلاف المقاطع الحالـة الأولـى حالة اللافعل،نجد مقاطع أخرى يؤسسها الفعل،وينجز في ضـوئها،علـى متنهـا العمـل القصصي بفضل خاصية الدفع والحركة نحو الأمام.

فإذا كان السرد في الإيقاع الأول ساكنا،فإنه في الإيقاع الثاني يصير منعـدما،لأن الوصف يوقف سرد الأحداث،في حين يصير زمن النص في الإيقاع الثاني مساويا لـزمن الحدث.هذا عن الظاهرة الأولى،أما الظاهرة الثانية للأفقية الزمنية فتتجلى في الاختزالات، والاختزال Léllipse ويسمى كذلك الحذف،هي(تقنية زمنية بإسـقاط فتـرة طويلـة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث)"45"،وبقدر ما تعـد هذه التقنية وسيلة ناجعة لامتداد السرد بسرعة تعمل على إلغاء ،أو محو الزمن الساكن في القصة عن طريق الوثب بالأحداث إلى الأمام قبل إشارة،يمكن كـذلك أن تخلـق فجـوات عميقة في البنية السردية للنص،بابتعاد الكاتبة عن تحركات الشخصية،والسباحة في زمـن رحب قد يمتد إلى سنوات خالية،وعبر هذا الاسترخاء الزمني(يصبح زمن القـول أضـيق

"43" ــ زهور ونيس / على الشاطئ الآخر ،قصة " سمية" ص 29.

"44" ــ نزيهة السعودي / الحب في الزمن الهارب،قصة ليست عذراء ص 13.

"45" ــ حسن بحراوي / بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي،ط1,1990،ص 156.

بكثير من زمن الحكاية الذي قد يغط فترة زمنية واسعة) "[46]،كما هو الشأن فـي القصـص ذات الزمن الرحب.

إن شيوع ظاهرة الاختزال ترتبط بالبنية الهرمية ذات البناء الزمني الرحب،لكونها تمتلك القدرة على استيعاب فترة زمنية طويلة على حساب التفاصيل التي يمكن أن تفصـح عنها المقاطع السردية،وهي ليست ظاهرة سلبية تسئ إلى فنة القصة القصـيرة،لأن هنـاك نوعا من القصص يستوجب التوفر على هذه الخاصية للتخلص من ثقل الـزمن،غيـر أن القصة التحليلية مثلا،أو قصة الحالة،لاتتطلب هذه التقنية،بل إنـه إذا أقحمـت فـي نـص قصصي من هذا النوع أربكت بناءه،وجعلته يعيش حيرة وتشتتا ،،لأن التركيـز والايحـاء هي المعايير الواجب توفرها في هذا النوع،ولهذا نلفي الاختزال منعـدما فـي القصـص المجدولة في الخانة المخصصة للنصوص ذات الزمن القصير،بينما يكثـر ويتوسـع فـي القصص المجدولة في خانتي النصوص ذات الزمن المتوسط والرحب.

إن تقنية الاختزال في المتن تتجسد عبر نصوصه وفق استخدامين:

الاستخدام الأول: تنضوي تحته تراكيب الاختزال المحدد Ellipses Déterminés

أمـا الاسـتخدام الثـاني: فتتضـمن تراكيـب الاختـزال غيـر المحـدد ellipses indéterminés "[47]".

فالنسبة للاستخدام الأول تحذف فترة زمنية من مساحةالنص بقرينـة تحـدد هـذه الفترة تحديدا واضحا وصريحا.

من التراكيب التي تجسد هذه التقنية ما ورد في قصة " بحر الطوفان"،حيث تقـول القاصة على لسان الشخصية المركزية: (أربع سنوات..تضيع من الشباب..أصبح عمـري إثنان وعشرون سنة..وولد يدعو بابا كل مرة ولا من مجيب)"[48]"،وما جاء كذلك في قصة " دموع تصد الريح" على لسان الراوي:

(منذ سنتين فقط كان عريسا..الزغاريد كانت تصم الآذان،الفرح،نعمة المزمار والعيون الضاحكة)"[49]"

"[46]" نجيب العوفي / مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية..ص 127.

"[47]" ـــ هذا المصطلح استخدمه جيرار جينات في تحليله للبنية الزمنية لإحدى روايات " بروست" وقد استخدمته لكونه يتميز بالدقة في النهوض بالوظيفة السردية.آنظر : Gérard Jénette.Figures111 ed du seuil .paris 1971 p139.

"[48]" ـــ زهور ونيسي / الظلال الممتدة،ص 70.

"[49]" ـــ نزيهة زاوي درار/ الطفولة والحلم،ص 10

بربط المقطع الأول بسياق النص نلفي الشخصية الراوية تعي وعيا تاما الفترة الزمنية التي انسلخت من شبابها في انتظار الزوج الغائب.

وفي المقطع الثاني يعرف الراوي الشخصية معرفة عميقة ،فيحدد الفترة الزمنيـة التي قضتها في الهجرة،قبل أن تغتال من طرف عصابة عنصرية في ظروف غامضة.
أما بالنسبة للاستخدام الثاني،فتحذف الفترة الزمنية من جسد الـنص دون معرفـة مـدتها معرفة محددة ودقيقة.

من التراكيب التي تجسد هذه التقنية،المقاطع الآتية التي نقتطعهـا مـن نصـوص مختلفة،ففي قصة" ليست عذراء"،نجهل المدة الزمنية التي تحدد بدقة أو على الأقـل تشـير إلى تاريخ تعرض الشخصية للاغتصاب،تقول الراوية:(لم تكلم أحدا عن تلك الحادثة،دفنتها في أعماقها ،تدحرجت بمرور الأيام في بئر النسيان)"[50].

كما نتلمس كذلك هذه الرخاوة في الحذف كذلك في قصة" عازف النـاي" ،يقـول الراوي:(مر خريف وذهب شتاء،ثم أقبل ربيع فاخضـرت الأرض مـن جديـد ،ومـع أزهارها كان قلب خليفة يطفح بالبشر،فقد رزق بطفل ،فتحققت كل أمانيه، ومضن الأعوام ،وأصبح الطفل شابا مكتمل الفتوة)"[51].

إن هذا المقطع الصغير يختزل مدة زمنية واسعة تقدر بسـنوات طويلـة،ففصـل يطوي فصلا،سنة تطوي سنة،حتى يبلغ الشاب سـن الرجولـة،وعلـى غـرار تراكيـب الحذف،نلفي إشارات الاختزال في هذا المقطع غير قابضة بالفترة الزمنية،فالشيخ خليفة،لم يرزق ولدا من قبل ،وحين اشتعل رأسه شيبا رزق صبيا،وصار الصبي شابا يافعا مفتـول العضلات..قوي البنية،لقد ابتلع هذا المقطع النصي القصير زمنا مهولا،وفضفاضـا،ولعـل "زوليخة السعودي" دون غيرها من القاصات تعرف باستخدام هذه التقنية،حيث نتلمسها في نصوص أخرى"*".

بعد هذه الدراسة لعينة من الشواهد ذات التراكيب الاختزالية ،يمكـن أن نخلـص إلى أن توظيف تقنية الاختزال بنوعيه قد استخدمت بطريقـة فنيـة للـتخلص مـن ثقـل الزمن،والتعامل مباشرة مع الحدث القصصي،لكون أغلب النصوص التي انطوت على هذه

"50" ــ نورة سعدي /أقبية المدينة..ص 69.

"51" ــ زوليخة السعودي/ مجلة الضاد،معهد الآداب واللغة العربية،جامعة قسنطينة،العددان 10 ــ 11 ،ص 70.

"*" ــ زوليخة السعودي: عرجونة،مجلة آمال ع 6 ،ص 70،من البطل ، ع 1،ص 21.

التقنية تتناول موضوعات تسجيلية مستمدة من الواقع اليومي المعـيش،ولعـل الإهـداءات المتصدرة لنصوص المقاطع المعالجة تؤكد هذه الحقيقة.

أما كيف صيغت هذه الاختزالات؟،ما الإشارات المسـتخدمة؟ما الـدلالات التـي تعنيها؟فتجيب عنه النتائج اللاحقة المستخلصة من الجدول البياني الآتي:

القاصة	عنوان القصة	تراكيب الاختزال
زهور ونيسي	الظلال الممتدة بحر الطوفان ابنة الأقدار	كل ذلك قبل خمس وعشرين سنة. أربع سنوات تضيع بعد مرور الأيام أخطأ
نزيهة زاوي درار	دموع تصد الريح الحيرة وميلاد سعيد ثرثرة إمراة	منذ سنتين كان عريسا. بعد أسبوع عادت بعد نصف قرن اكتشفت العمى
نزيهة السعودي	الزوجة الصغيرة	تدحرجت بمرور الأيام في بئر النسيان مر عامان على زواجها قضت اياما في المستشفى
نورة سعدي	المتمرد الصغير الصريعة فنان وجهان لامرأة واحدة	تسللت الأيام من مفكرة الزمن بطيئة تتالت الأيام،يوم يجر يوما ،وشهر يجر شهرا مضى الأسبوع صريعا. كل شيء فبي الأشهر الأولى سار وفق هوائي
زوليخة السعودي	من البطل؟ عرجونة عازف الناي	عاش شهورا في سعادة.. أقبلت الأعوام المتتالية. مر خريف ،ذهب شتاء ،وأقبل ربيع

من خلال هذا الجدول يمكن تلمس ثلاثة مستويات لاستخدام الزمن المختزل

المستوى الأول:

تم فيه توظيف زمن فاعل،يملك السيطرة والقدرة على فرض سطوته في مجريات القص، وذلك لكونه يمثل قطبا مهما في جمل الاختزالات،حيـث يصـير الفعـل مسـندا ،والقرينة مسندا إليه،ويتضح هذا المستوى بطريقة بارزة عند نـورة سـعدي، وزوليخـة

السعودي،فبطلة قصة" المتمرد الصغيرة لنورة سعدي لاتملك أدنى إرادة في محاولة التغلب على مشاكلها النفسية،وطرح الهواجس التي صارت عبدة خاضعة لهيمنتها.

وبطل عازف الناي لزوليخة السعودي الشيخ خليفة شخصية خاضعة لتبدل الفصول ، وتعاقبها ولا تعرف ملامحها إلا من خلل الزمن الذي طوى حياتها طيا،،وهكذا نلفي شخصيات هذا المستوى كائنات مفعولا بها وحيث تحتل مواقع تحت هيمنة الزمن والظروف والكفاح لإثبات الذات قصد الخروج من الأزمة منتصرة.

المستوى الثاني:

استخدم فيه زمن مضاف إلى الظرف الذي سبقه واقترن به،فأصبح مجرد قرينة زمنية تشير إلى فترة زمنية معينة،وبالعودة إلى تراكيب الجدول نجد في الشواهد اتي أضيفت فيها القرائن الزمنية إلى الظروف تقديم هذه الظروف الزمنية على الأفعال المتعلقة بها في حين كان أصلها التأخير،إذ خدم هذا التقديم السياق القصصي،حيث نلفي بطلة قصة" الحيرة وميلاد سعيد"،وهي طلبة جامعية ذات طموح عال ورؤية متحررة ،تقيم في الحي الجامعي وتربطها بأحد زملائها عاطفة خاصة، في إحدى الزيارات لأسرتها تعود بخاتم الخطوبة فى إصبعها،لكن بعد حيرة طويلة تستقر على رأي نابع من قناعتها،وهي ضرورة إيثار زميل الدراسة على شخص لاتعرف عنه الكثير،ولهذا كانت دلالة الزمن بارزة،وهي التركيز على المدة قصد إبرازها.

في ضوء هذه المستويات نستنتج أن القاصة الجزائري تتعامل مع تقنية الاختزال بوعي قصصي مقصود استجابة لضرورة فنية ،تتمثل في استيعاب الموضوع ومحاولة التحكم في مادته القصصية المتراكمة،إلى جانب التمثل الفني للسياق الزمني للقص،حيث نستخدم بمهارة ، وإدراك الاختزالات الملائمة لطبيعة الموضوع ،والمعبرة عن الفكرة المعالجة بعمق وحرارة.

ثانيا:الخاصية الماضوية:

إن الماضوية كخاصية زمنية تطبع النسق السردي بطابع خاص،وتحدد أبعاده اللغوية، والنحوية، والسردية،وهي تشكل مع خاصيتي الأفقية،وتسريع وتبطيء الحركة النسيج القصصي للمتن، ولعل سبب تداخل هذه الخواص الثلاث يعود إلى تقاطعها ، واشتراكها متداخلة في تمثيل الزمن الحسي للنصوص.

فقد نجد الخاصية الأفقية مثلا تحتوي على الخاصية الماضـوية،وكـذلك الأمـر بالنسب لخاصية التسريع والإبطاء،حيث نجدنا عند الوقوف على مشهد قصد القبض علـى ماضوية النسق السردي أمام سرعة الحركة القصصية،وعند الفجوة،أو التلخيص أجدنا أمام الإبطاء، وهكذا.

فعملية التحديد هذه ضرورة أملاها علينا المنهج،فلا غرو إذن من أن نشير ضمنيا إلى الخاصية الثانية،ونحن بصدد معالجة الخاصية الأولى ،أو الثالثة،أو العكس.

إن اقتفاءنا وترصدنا للماضوية هو اقتفاء وتتبع لتحركات الزمن النحـوي داخـل النص،ولذلك سوف أستعين بعد الوقوف عند عينات من المتن على مدى سـيطرة الـزمن الحسي على مسار السرد القصصي ،وإكسابه طابعا إخباريا سواء تعلق الأمـر بالإيقـاع الأول سيطرة (الجملة الاسمية)،أو الإيقاع الثاني (سيطرة الجملة الفعلية)،كما رأينـا آنفـا مع الخاصية الأفقية،غير أن الماضوية في هذا السياق تنحصر في ما له علاقـة بالإيقـاع الثاني،أي المشاهد،والوقفات التي تتأسس على الحركية والتسارع،والتـي تحيـل بطبيعـة الحال إلى ماضي الأحداث،أما الإيقاع الثانى فسوف يرجأ إلى خاصية الإبطاء لا حقا.

وقصد تمثل هذه الخاصية أقتطع قطعا من نصوص مختلفة،وممثلة تمثيلا كافيـا للمدى الزمني للمتن.

تقول جميلة زنير في قصتها " الآمال الضائعة" في معرض تصـويرها لمغـادرة الصبية" سعدى" بت والدها للعمل في بيوت الوجهاء: (غصت الفتاة ريقها..أصفر وجههـا ..اصطكت أسنانها وشعرت بالبرد يجتاح جسدها النحيل..قفزت إلى صدر أمها ،وطوقتهـا بذراعيها كأنها تريد ن تلتصق بها ولاتنفصل عنها إلى الأبد..خارت قـوى الأم،وراحـت تغمرها بالقبلات،ثم تعالى معا في بكاء مرير)"52"

كما تتابع زهور ونيسي في قصتها " موجة برد" تفاصيل انكسار المدير العام بعـد خلعه من منصبه من قبل الوزير،واكتشافه لنفسه،وحقيقة مـا كـان يمارسـه مـن سـوء التسيير،فتصف حالته في هذا المشهد،تقول:(دخل البيـت،اختلطـت رائحـة المـأكولات المتنوعة بعطر زوجته،كاد يفقد توازنه،أصابته شبه إغماءة،تصور كل قطع الأثاث الثمينـة المستوردة تجثم على صدره،تضغط،تضغط،استمر الضغط والشعور بالقيء،وزوجته تضع

"52" ـــ آنظر : مجموعة دائرة الحلم والعواصف ،ص 88

شفتيها على قفاه..وشعره المصفف،قفز واقفا دون شعور منه،حدق فيها ،غربة هذه المـرة تتصرف تصرفات مقززة،ولى هاربا..إلى الشارع)"53".

أما نزيهة السعودى،فتلتقط هذا المشهد الذي يصور غضب معلم الكتـاب بسـبب تقاعص أحد تلاميذه في قصتها" العالم الجديد" عن إحضار الهدية بمناسبة اختتامه للحـزب الأول،وتعارك والده معه،تقول:

اشتد غضبه فرفع قطعة صلصال ورماني بها،فسال دمي،خرجت مهرولـة مـن الجامع والدم يقطر من جبيني،ويغمر وجهي،ولما وصلت إلى البيت ارتج هلعـا، ومـا إن علم بي أبي حتى خرج متوعدا يتقد غضبا،ويمم لتوه صـوب الجـامع ،وسـمعت أنهمـا تشاجرا ،أن أبي أهانه،ومسكه من رقبته..وأن التلاميذ ضحكوا ..)"54".

إن هذه المقاطع الثلاثة تقدم صورة واضحة عن مسار ونسق الزمن النحوي فـي نصوص المتن،حيث يتكرر هذا الزمن باستمرار مشكلا متواليـة زمنيـة فـي المنظومـة القصصية للدراسة.

إذ لا يخلو أي نص من نصوص المنظومة من هذه الخاصية،وهو الأمـر الـذي يجعل منها خاصية فنية تستحق الوقوف عندها،والمتأمل في الشواهد الثلاثة السالفة،يـتلمس جملة من الظواهر اللغوية والأسلوبية،يمكن تلخيصها فيما يأتي:

أ ــ الإكثار من الجمل الفعلية القصيرة المتوالية دون تعليق،أو تنظيم من قبل السارد،وهـي آلية عرف بها الروائيون الجدد وعلى رأسهم " آلان روب غرييه"،الأمر يسقط السرد فـي الرتابة،وإن كان تتابع الأفعال يدل على مراقبة الكاتب مراقبة تامة للشخصية.

ب ــ طغيان الأفعال الماضية حيث يصل عددها في المشهد الأول عشـرة أفعـال،وفـى المشهد الثانى تسعة أفعال،وفي المشهد الثالث أحد عشر فعلا،مع وجود أفعال تـدل علـى الحال ،أو الاستقبال،وردت في السياق لخدمة الزمن الماضي ــ والواقع ــ أن خدمة أحـد الزمنيين للآخر ضرورة نحوية وسردية،وبلاغية في بعض المقاطع،فإن سـيطر الماضـي وكان الحاضر مضمنا في جملة الماضي،فإن السيادة للذاكرة القصصـية،أي أن الوظيفـة الإخبارية تطغى على الوظيفة الإنشائية،أما إذا كان الحا ،أو الاستقبال مهيمنا مصوغا فـي

"53" ــ آنظر : مجوعة ،الظلال الممتدة ،ص 65.

"54" ــ آنظر : مجموعة،الحب في الزمن الهارب ،ص 40.

الكبرى،فإن الاستشراف هو السيد، مع كلتا النمطين نجد الزمن بنوعيه اثلا،بحيـث يخـدم أحدهما الآخر،ويتضمن فيه.

ج ــ الاستعانة بحروف الربط التي تتراوح بين الواو،الفاء،حتى،وثم،وهذه الحروف تفيـد الاشتراك في الفعل لكون كل الجمل المكونة للمقاطع مؤسسة علـى الأفعـال،كمـا تفيـد الترتيب،والتعاقب،ومن ثم نلفيها تخدم الخاصية الماضوية،ولعل سبب سـيطرة الماضـوية على آلية السرد يعود إلى احتفاظ الذاكرة القصصية بالموضوعات المترسبة فـي الـذاكرة التاريخية لشخصية المحكية،حيث يتجه السرد في مشاهد التأزم نحو الوراء ،ويعـب مـن زخم سردي جاهز،وكأن المشهد ماثل بكل تفاصـيله أمـام العدسـة القصصـية،فـالعين القصصية في هذه الخاصية لاتتعب في التمثل والتخيل ،والتهيأ،وإنما تفد عليهـا المشـاهد فتلتقطها ، وتصورها بسهولة ويسر،كما تدل الماضوية على واقعية الأحـداث،والمشـاهد المصورة،مما يسهم في تفتير،وخبو النكهة القصصية ذات المسـحة الإبداعيـة المرتكـزة عللى التخيل.

ثالثا: خاصية تسريع وتبطئ الحركة:

تنحو هذه الخاصية كسابقتيها بالسرد منحى تسلسليا،يتجه بأحـداث القصـة نحـو النهاية،التي ترسمها القاصة ابتداء من معطيات سابقة كالافتتاحية مثلا،كما ينبغي أن أنبـه إلى أن الأفقية الزمنية تتداخل في تشكلها الخواص الثلاث،التي ذكرتها ،وتتقاطع بصـورة يصعب الفصل بينها أحيانا.

فالحديث عن تسريع السرد ينبغي أن ينهض على متن تقنيتين اثنتين،هما :

ــ التلخيص الذي تعمد فيه القاصة إلى اسـتعراض مكثـف ،وسـريع لأحـداث يجـب بالضرورة المنطقية أن تستغرق مدة طويلة "55".

ــ والاختزال ،هي تقنية سبق طرقها أثناء تناولي للخاصية الأفقية،ولذا سوف أقتصر فـي هذا المجال على تقنية التلخيص فحسب،لاقتفاء وتتبع حركة تسـريع السـرد فـي الـنص القصصي النسائي في الجزائر.

أما حركة تبطيء السرد،أو تعطيله،فأعني بها ما ذهب إليه " ريكاردو" في شـكل سابق مثلت به لتوضيح إيقاعية السرد حين يكون ساكنا،أو متحركا،ضمن الخاصية الزمنية

"55" آنظر : حسين بحراوي / بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي،1990،ص 120

الأفقية،وهي تقنية توقف زمن القص وتعطله عن السير نحو تأزم الأحداث،وتعاقبها،حتى يتم التفرغ لعملية الوصف،الذي يتخذ مظاهر ،ومناحي مختلفة،كما سيأتي وفقا لتنوع الوظيفة التي يقوم بها،إضافة إلى تقنية الحوار التي تكشف عن خبايا المتحاورين،وتساعد على التطور الدرامي للأحداث،ونمو الشخصيات من الداخل،ومن خلال التقابل أو التلاقي في ما يدور بينهم من أقوال.

ولعل تقنية الوصف،أو الوقفة الوصفية كفيلة للقبض على هذه الخاصية " التبطيئ" ،لذلك أكتفي بها في التطبيقات اللاحقة.

أ ــ التسريع:

مظهر من مظاهر السرد الزمني،ينتج وسعا زمنيا مضبوطا ،تتقلص في ضوئه فترة زمنية كبيرة داخل حيز نصي ،أو مساحة نصية قصيرة،ووفقه ينشئ جانب من القصة ،ويتضمن في الماضي،كما تستلزم ضرورة البناء القصصي أحيانا ــ اختزاله لتهيئة الأجواء القصصية،إذ تغدو الفترة الزمنية التي سبقت الحدث القصصي عديمة الجدوى، ويتم التركيز على الشخصية القصصية ذاتها بعد تلخيص مكثف لما حدث لها قبل الشروع في رصد تحركاتها داخل المساق القصصي،وهذا الضرب من أضرب التلخيص،عادة ما يرد في الافتتاحية،ويستقبل بفقرة تكاد تكون منفصلة عن السياق العام للقصة.

فزوليخة السعودي تفرد في قصتها" من البطل؟" الفقرة الآتية،التى تعمد فيها إلى اختصار السنوات الأربعة التي أذابتها الشخصية المحورية في الغربة،للنفير على القارئ مشقة تمثل الشخصية في نموها الطبيعي وفقا لنسق التطور الدرامي للأحداث،وهي وسيلة ذات وظيفة تهييئية لإدماج القارئ في معترك النص،وتفادي إقحامه في حدث يخلو من الإثارة والطرافة،تقول فيها:

(أربع سنوات في باريس،أتجهل عصارتها يا صاحبي ،أربع سنوات في ظلام المصانع، والمقاهي،وتشرد الأزقة والحانات ولم أستطع أن أوفر منها شيئا أجده في محنتي ،كل عرقي امتصته الليالي الحمراء المعربدة،أدخل المشفى،فأرتمي كأي كلب ذليل التقط من الشارع..)"56".

"56" ــ آنظر : مجلة آمال الجزائرية،العدد الأول ص 5 ــ 6 .

إن هذا التلخيص ينطوي على شحنة كبيرة من المعاناة،وثقل كبير من الاضـــطهاد في أمكنة متعددة ضيقة،ومدى زمني واسع،فتتحول هذه المجالات إلى منفى متعدد يمـــارس على الشخصية استنزاف وهدر صحتها وأخلاقها وكرامتها.

ولو عمدت القاصة إلـــى ذكـــر التفاصـــيل وتـــواريخ الأحـــداث التـــي كابـــدتها الشخصية،لتحولت القصة إلى حديث تسجيلي لا علاقة له بفن القصة.

غير أن القاصة وعلى الرغم من طبيعة التلخيص الذي يخدش النســـيج الحيـــاتي للنص القصصي،قد نجحت في تكثيف معاناة الشخصية،وتعميق مأساتها ،بل فلحـــت فـــي تحويل ماضيها إلى حدث درامي مؤثر،وهي مهارة فنية قلما نجدها عنـــد مثيلاتهـــا ،فقـــد حولت الماضي المختزل إلى بؤرة مركزية للسرد وتشابك عميق للأحداث.

وقد يؤدي التلخيص وظيفة استدراكية،بغية إشعار القارئ ،وتزويـــده بمعلومـــات مستفيضة وهامة عن الشخصية،كان يجهلها من قبل،وتدخل هذه الوظيفة في إطار المـــرور السريع على أحداث كبرى من القصة بغية تجاوزها إلى ما هو أهم منهـــا،فقصـــة " ابنـــة الأقدار" الناهضة على مونولوج داخلي يتقاطع فيه مستوى السرد،حيث يتناوب بين الحديث النفس اللحظوي المعيش زمنيـــا بآنيتـــه،والاستشـــراف المســـتقبلي ممـــثلا فـــي أحـــلام الشخصية،وآمالها في عودة الزوج الجافي إلى بيته، وولديه.

يأتي التلخيص ليذكر بالأحداث التي كانت وراء تعاسة الشخصـــية،فيختـــزل فـــي المثال الآتي حياتها الزوجية التي عاشت محطاتها ،محطة ،محطة،وفي كل محطة كانـــت تنجب طفلا يعطي بعدا آخر لتلك الحياة،تقول :

(دخلت عالم الزوجية ..وأنا اعتبره الجنة،كل الجنة ولكن حدسي أخطأ بعد مـــرور الأيـــام والسنين وأخطأ لأنني اكتشفت أن الجنة أيضا تجتاحها الرياح..ورغم ذلك تعلمـــت كيـــف أعطي دون مقابل،أسعدتني التضحية،ووهبت كل ما عندي لهذا العـــش الصـــغير..وكـــرر الزوج الذي أحببته نفسه مرتين في أحشائي..)"57" .

الوظيفة الاستذكارية نفسها نلفيها في قصة" ثرثرة امراة" مع فـــارق بســـيط بـــين المثالين الأول والثاني،فإذا كان الأول قد تصـــدر القصـــة فـــي صـــورة بدايـــة تلخـــص مضمونه،والثاني قد توسط النسيج السردي للقصة،قصد إعطاء وثيـــرة ســـريعة لتجـــاوز

"57" ـــ زهور ونيسي / الظلال الممتدة،ص 82.

أحداث سابقة،ترى الكاتبة أنها ليست جديرة بالوقوف على حيثياتها وملابساتها،فإن المثـال الثالث ابتلع مساحة زمنية تقدر بعقدين أو أكثر،بغرض تصوير وتسـليط الضـوء علـى بشاعة الاضطهاد التي كانت ضحيته المرأة،حيث تحولت إلى آلة إنجاب نشيطة،وقد وظف هذا التلخيص الذي يتسم أسلوبه بالطابع البرقي السريع "58"،حيث لم يشر إلى ما وقع فـي حياة الشخصية من متاعب ومشاق عب ربطنها الذي تكور،واستوى عدة مرات،ليقدم لنـا نظرة شاملة عن وضع هذه الشخصية المكدودة،على الرغم من أن المضمون كما يـوحي العنوان يعالج الوضعية الدونية للأنثى في مجتمع ذكوري لا يرى الحيـاة إلا مـن خـلال نظرة أحادية تكرس سيادة الذكر ،وتلغي وجودية الأنثى كمخلوق بشـري لـه طموحاتـه وآماله.

في ضوء الأمثلة الثلاثة المطروقة يمكن تحديد وظيفتين أساسيتين للتلخيص،هما : الوظيفة التمهيدية،والوظيفة الاستذكارية.

ب ــ الإبطاء:

استجابة لمنهجية الدراسة قصد محاولة استجلاء أهم التقنيات السردية،التي وظفتها الكاتبة الجزائرية في نسق القصة القصيرة الزمني رأينا ضرورة الوقوف عند كـل تقنيـة على حدة،حتى يتسنى لنا التعرف على أهم مظاهر التقنية أو تلك.

فإذا كنا قد تعرضنا مع حركة التسريع إلى وظيفتين أساسيتين أنجزتا لغرض فنـي يتيح للقاصة إمكانية القفز بطريقة شرعية على مراحل هامة من القصة دون أن يحدث القفز تفككا أو تصدعا في بناء النص، بل بالعكس يمكن أن تزوده الوظيفة المستخدمة سواء أكانت تمهيدية أو إستذكارية متانة وصلابة فنية، أي لحمة عضوية بين مفاصل النص الكبرى.

فإننا مع حركة الإبطاء أو التبطيء التي تنشأ عن الوقفات الوصـفية،و اللقطـات سردية المشهدية سواء كانت وصفية ، أو سردية أو حوارية " نجد أنفسنا إزاء وضـعيات سردية تكشف عن جوانب وظيفية هامة سيأتي توضـيحها لاحقـا فـي ضـوء الأمثلـة والشواهد.

"58" ــ جاء في التلخيص (أنجبت أبنتي الأولى،فتمتمت حماتى : تمنيتها ولدا..وأعقبتها الثانية،فجاءتني أمي صباحا ،وأقامت مناحة عند فراشي..عندما وضعت الثالثة بكيت،ولطمت وجهي تلاحق بعدها ذكور وإناث ،مات كل الذكور وعاشت أخواتهم)
آنظر : نزيهة زاوي درار / الطفولة والحلم،ص 91 ــ 92.

ومن باب النافلة قبل أن نطبق هذه التقنية على بعض النماذج ينبغي أن نشـير إلـى أنها ليست تقنية حديثة ابتدعها رواد القصة القصيرة ابتداء من " سومرسـت مـوم " إلـى موبيسان " إلى " يوسف إدريس"وإنما اعتمدها بصورة ملفتة للانتباه رواد الرواية الواقعيـة أمثال بالزاك، وفلوبير، و نجيب محفوظ مع إختلاف جوهري بينهم.فقد مكـن الـواقعيين الشكل الروائي لطابعه الطويل والمستوعب لعقود من الزمن بل لأجيال كاملة فـي بعـض الأحيان من استغلال تقنية التلخيص للتنسيق بين المشاهد و المحطات السرد التي تستوجب وقفات تمهيدية للإحاطة بها بغية دفع السرد نحو الأمام و إعطائه و ثيـرة سـريعة،وكـذا التعرض للشخصيات العديدة و المتنوعة،كما استخدموا أيضا تقنية الوصف للشـف عمـا تنطوي عليه الشخصية انطلاقا من وصفهم وإطنابهم في تصوير مظاهر الحياة الخارجيـة التي تحيط بها،فوصف الأثاث واللباس،والمجال الذي تتحرك فيه الشخصـيةوهونوع مـن وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه كما ينبه " ميشال بيتور " في معرض حديثـه عـن فلسفة الأثاث "59"، كما اهتم أيضا معاصرة " ريكاردو " بتقنية الوصف، حيث وقف عنـد أهم وظائفها و هي الوظيفة الاستقصائية التفريعية انطلاقا من شجرة الوصف "60".

إن تقنية الوصف تكون أشد وضوحا في الرواية أكثر منها في القصة القصـيرة ، لأنها في الرواية أكثر منها في القصة القصيرة لأنها في الرواية تشـكل مسـاحة كبيـرة ويمكن فصلها عن سياق السرد أما في القصة القصيرة فتكون منحسـرة و ملتحمـة فـي النسيج السردي.

بعد هذه التوطئة النظرية الموجزة نحاول تجسيد هذه التقنية تطبيقيا على جملة من الشواهد نستهلها بوصف استعراضي للمكان ، حيث تبرز مظاهر المكـان فـي الوقفـات الوصفية، ولأننا سوف نتعرض للمكان بصورة مفصلة ف الفصل اللاحق ، فإننا نقتصـر على تحديد بعض الوظائف دون غيرها كالوظيفة استعراضية القائمة على الرؤية البصرية واستقطاب مظاهر هذه الرؤية بـأسلوب " تلغرافي " متناوب و متسارع كمـا فـي هـذه الوقفة [السيقان والأيدي متشابكة.. الأحذية البراقـة ذات الكعـوب العاليـة.. الفسـاتين الطويلة.. الفساتين القصيرة.. عطر " الشانيل " عطر صفتشـي".. الرمـوش الطويلـة..

"59" ميشال بيتور/ بحوث في الرواية الجديدة، توفريد انطونيوس،ص 53.

"60" _ J. Ricardou, le Nouveau Roman ; Paris. Ed ;du Seuil ;p30.

الضحكات ..رنين كؤوس الخمر دخان التبغ "61" إن هذا المقطع يكاد يكـون خاليـا مـن الزمان، لخلوه من الأفعال التي تحدد الزمن النحوي، مما طبعه بطـابع السـكونية.. فقـد مطط الزمن بل و أبطيء بصورة يبدو فيها جامدا رغم الإيقاعات المتكونـة مـن الجمـل الاسمية القصيرة ذات الأوصاف المخبرة مفاتن الأجساد المتواجدة في المرقص، وكأن هـذه الوقفة محطة صغرى لإراحة السرد الذي يستعيد الحركة والحيوية بشكل سريع بعدها(كـل شيء يهتز تحت أنغام الديسكو..تتحرك الأجسام ..تتلوى الحضور..تتشابك الأيدي..)"62".

وبهذه الوثيرة يأتي السرد متناوبا بين الإسراع عن طريق لاستشراف أو الاختـزال والإبطاء عن طريق الوصف، فيتمدد الزمن مع الحركة الأولى، و يتقلص بل وينعدم أحيانـا مع الحركة الثانية. وتتنوع وظائف الإبطاء ،حيث تتراوح بين الوظيفة القائمة على الرؤيـة البصرية،وهي التصوير الوصفي للمكان والوظيفة القائمة على التصوير الوصفي الخـارجي للشخصية انطلاقا من المكان وملحقاته،كما في هذا المقطع: (ها هو عمي سعيد "الجربي" في جانب الحي داخل حانوته الصغير وقد شمر قميصه الأبيض عن ساعدين مفتولين،وأصـابعه الملطخة تلعب بالعجين لترميها بخفة ودربة في مقلاة الزيت..وصبيه "أحمد "قد اجتهـد فـي إذكاء النار ببقايا الأخشاب وقطع الألواح) "63". ففي المقطع الاستعراضي الأول جمد الزمن تماما وأما في هذا المقطع فقد خبا الزمن لكن لم ينمح،وإنما راوح مكانه تاركا المجال لتتبـع الحركات التي كانت تصدر عن الشخصية،وهي تمارس مهنتها داخـل المحـل.إن خاصـية التسريع والتبطيء،كما جاءت في بعض النصوص يمكن تمثلها بالشكل البياني الآتـي: فمـع التسريع ينتج الشكل الأول،ومع التبطيء ينتج الشكل الثاني:

"61" ــ أم سهام / الرصيف البروتي ،ص 31.

"62" ــ م ،ن، ص32.

"63" ــ زهور ونيسي /على الشاطئ الآخر،ص 78.

الشكل (1)

فقرة التلخيص

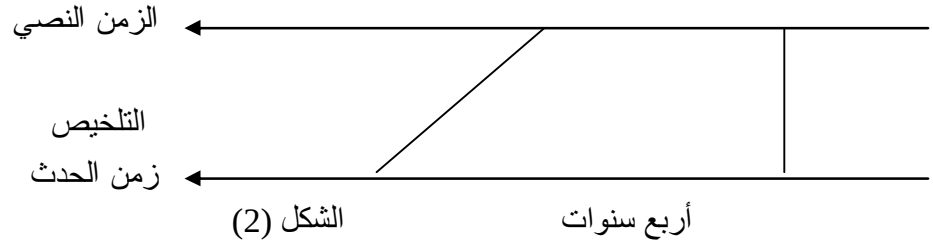

الشكل (2)

الفقرة الوصفية

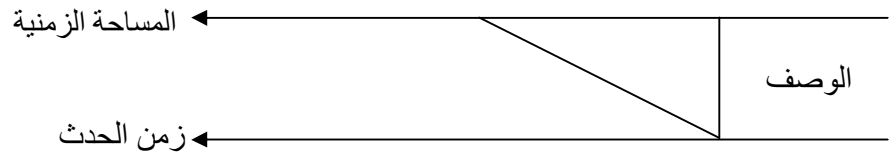

الـوقفة

وهكذا نجد الزمن الحسي يستعير عدة خواص زمنيـة متغيـرة تلحـق بالسـياق السردي،وتتنوع بين الاستذكار ،والوقفة،والاستشراف،وتتكامل لخدمة الزمن الحسي،حيـث ترتصف المقاطع السردية ارتصافا تتابعيا.

بعد استعراض النسق الزمني المتعلق بشقه الحسي في المتن القصصـي النسـائي الجزائري،أصل إلى نتيجة مفادها أن القاصة الجزائرية استخدمت الزمن الحسي استخداما عميقا،فقد رأينا أن البعد الأفقي للزمن لا تكاد تخلو منه قصة من القصص المدرجـة فـي هذه الدراسة،وذلك يعود إلى طبيعة السرد،الذي تتداخل في تشكله تغيرات زمنية تتـراوح بين الاستذكار ،والتطلع ،تجميد الزمن ،أو الوقفة أحيانا،كمـا أن موضـوعات النصـوص المنضوية ضمن الزمن الحسي،أغلبها ذو مضامين وطنية،واجتماعية،وثوريـة،ممـا حـذا بالقاصات التوجه نحو الخارج في تعاملهن مع مختلف الموضوعات،وقد وجدن سهولة في استقطاب هذه الموضوعات الجاهزة،وتحويلها إلى أعمال قصصية،بخلاف الكتابة المنطلقة من الداخل والتي توظف الزمن النفسي بمختلف مستوياته،فهي صعبة لأن على القاصة أن تستثمر المخيال، والمثل استثمارا يتغذى من الحس الإنسـاني المرهـف،ويرتكـز علـى الموضوعات ذات الطابع السايكولوجي في أبعدها الإنسانية والفنية.